

802 | تعليق على معارج القبول للشيخ حافظ الحكم | الشيخ

عبد الرزاق البدر

عبدالرزاق البدر

نعم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين. اما بعد فيقول حافظ حكمي رحمه الله تعالى حدثني زهير بن حرب قال حدثنا جرير عن العلاء بن العلاء بن المسيب عن بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصفير الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او لا تدرين ان الله تعالى خلق الجنة خلق النار فخلق لهذه اهلا ولهذه اهلا قال حدثنا ابو بكر ابن ابي شيبة قال حدثنا وكيع عن طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصفير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه. قال او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم. وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله. صلى الله وسلم عليه وعلى اله واصحابه هذه اجمعين اللهم علما ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما واصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا الى انفسنا طرفة عين. اما بعد حديث ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا الذي ساقه المصنف ساقوا لان فيه اثبات هذه المرتبة من مراتب القدر وهي مرتبة العلم. فان قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه اهلا وخلق لهذه اهلا واطح. الدلالة على ثبوت علم آآ ان لا سبحانه وتعالى السابق المحيط الواسع جل في علاه قول النبي عليه الصلاة والسلام في جواب في اه جوابه لعائشة رضي الله عنها لما قالت عصفور من عصفير الجنة يعني جزم بذلك فقال عليه الصلاة والسلام اولاً تدرين ان الله خلق للجنة اهلا وخلق اهلا وهذه المسألة التي هي اطفال المسلمين ما مألهم اما محل اجماع عند اهل العلم ان اطفال المسلمين في الجنة لاطفال المسلمين في الجنة وجاء على ذلك ادلة عديدة ثابتة عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وفي قول النبي عليه الصلاة والسلام لام المؤمنين عائشة في هذا الحديث اولاً تدرين ان الله الى اخره قد يكون قال ذلك لها صلوات الله وسلامه عليه قبل ان يعلم ان انه في الجنة وقد يكون قال لها ذلك رضي الله عنها نهيا لها عن المسارعة الجزم. ولهذا قال لها او لا تدرين يعني ان نهيا عن المسارعة في الجزم بامر ليس عند المرء فيه دليل. لكن من حيث اصل المسألة فان آآ فان اطفال المسلمين في الجنة لشواهد عديدة ثابتة عن النبي صلوات الله وسلامه عليه نعم قال رحمه الله تعالى وقال رحمه الله حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثني عبد قال حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل قيل بعمل اهل الجنة ثم يختتم له عمله بعمل اهل النار. وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختتم له عمله بعمل اهل الجنة. قلت وهذا الحديث وما في معناه تفسيره اهل العلم والسنة على حديث سهل بن سعد عند مسلم رحمه الله قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب يعني ابن عبد الرحمن القاري عن ابي حازم عن سهل بن سعد الساعدي عن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس. وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو ناس وهو من اهل الجنة الحديث يفسر الاول ان عمل المختوم له بالشقاوة اذا ظهر صلاحه انما هو فيما يبدو للناس. ثم اورد رحمه الله تعالى هذا الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة. الزمن الطويل قد يكون ذلك مستغرقا عمره. مثل ما قال في الحديث الاخر ان احدكم ليعمل بعمل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع يعني يكون استغرق عمره الا فترة يسيرة قبل الوفاة ثم يختتم له بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختتم له بعمل اهل الجنة هذا نظير قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الاخر ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه

وبينها

الا ذراع فيسبق عليه الكتاب. اي ما قدره الله وقضاه. فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها. وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه

الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيذكرها. اه فيدخلها. وهذا الحديث كلما مر علي اذكر قصة في هذا المجلس في درس الوالد من سنوات احد طلاب العلم نقل لنا بشاره ان جدته اسلمت

قبيل وفاتها بثلاثة ايام وعمرها جاوز التسعين سنة فعمرها جاوز التسعين سنة. فقد يمضي عمر المرأة كله في الكفر. ويريد الله سبحانه تعالى له النجاة يهيئ له اسباب النجاة حتى لو لم يبقى على موته الا اليوم و

اليومين او الثلاثة او الاسبوع او نحو ذلك فأآ والعبرة بالخواتيم انما الاعمال بالخواتيم قال المصنف رحمه الله تعالى لما اورد هذا الحديث قال وهذا الحديث وما في معناه تفسيره عند

اهل العلم والسنة على حديث سهل ابن سعد ثم ساقه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل لا اعلم عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس. وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من

الجنة قال ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس فيما يبدو للناس هذا القيد يبدو للناس مفسر للاحاديث السابقة التي جاءت بدون هذا القيد ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس. يعني فيما يظهر للناس

يكون على ظاهره الصلاح او شيء من الصلاح. لكن في قلبه في باطنه خلل. من رياء او او ارادة للدنيا او اشياء من هذا القبيل يكون في في الباطن خلل

ومثل هذا لا يوفق والعياذ بالله الخاتمة الحسنة للفساد الذي انطوى عليه في باطنه لكن من كان في باطنه صحيح المعتقد والايامن والثقة بالله وحسن التوكل عليه واللجوء فان الله سبحانه وتعالى من واسع فضله وعظيم منه لا يضع عليه ايمانه لا يظيع عليه

كان الله ليضيع ايمانكم بل يحفظه عليه ويثبته. كما قال الله سبحانه وتعالى يثبت الله الذي امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ويظل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء

نقل الامام ابن القيم رحمه الله في كتابه الجواب الكافي عن عبد الحق الاسبيلي كلمة آآ نافعة جدا في هذا الباب. قال واعلم ان سوء الخاتمة اعادنا الله منها لا تكون لمن استقام ظاهره

وصلح باطنه اعلم ان سوء الخاتمة اعادنا الله منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به والله الحمد ما سمع بهذا ولا علم به والله الحمد وانما تكون لمن له فساد في العقد او اصرار

معاني الكبائر او اقدام على العظائم الى اخر كلامه رحمه الله تعالى بمعنى ان من كان على المعتقد الصحيح والايامن القويم

والمجاهدة للنفس والمداومة على سؤال الله الثبات. يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. من كان كذلك فان الله سبحانه وتعالى يحفظ له ايمانه احفظ الله يحفظك يحفظ له ايمانه ويثبته على الحق ويرزقه حسن الخاتمة وما احوج العبد الى كثرة السؤال

والالاحاح على الله الثبات والسلامة من الزيغ والتوفيق لحسن الخاتمة نعم قال رحمه الله تعالى وقال رحمه الله حدثنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي قال حدثنا عثمان ابن عمر قال حدثنا عذرة ابن ثابت عن

يحيى ابن عقييل عن يحيى ابن يعمر

عن ابي الاسود الدؤلي قال قال لي عمران بن الحصين ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه؟ اشياء قضي عليهم وشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر اشياء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم

ثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم قال فقال افلا يكون ظلما؟ قال افزعتم من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله ومملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون

فقال لي يرحمك الله تعالى اني لم ارد بما سألتك الا حرز عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه؟ افي شيء قضي عليهم ومضى فيهم

من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها

فالهمها فجورها وتقواها ونفس وما سواها فالهمها. الالهام هذا في القلب فالهام القلب فجوره او الهام القلب تقوى هذا بيد الله هذا الالهام بيد الله سبحانه وتعالى فهو الذي يلهم

القلوب اما التقوى او الفجور ولهذا المسلم دوما يسأل الله الهداية ويعود ويستعيد به سبحانه وتعالى من الضلال. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ولما قالت ام سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم وان القلوب لتتقلب قال ما من قلب الا هو

ان اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء. فان شاء اقامه وان شاء ازاعه. هذا معنى قوله الهمها فجور ما هو تقواها ان شاء اقامه اي ان شاء اقام القلب على طاعة الله عز وجل وان شاء زاغوا انحرفه ووقوعه

في الضلال. فنبيننا عليه الصلاة والسلام سئل كما في هذا الحديث ارأيت ما يعمل الناس اليوم المراد بالاعمال عموم اعمالهم من طاعة

او غيرها اعمال الناس عموما طاعات الطائعين وعصيان العاصين. ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه افي شيء قضي هذا السؤال او فيما يستقبلون به؟ يعني امر مستأنف لم يقدر ولم يقضى عليهم فقال النبي عليه الصلاة والسلام آآ قال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم بل شيء قضي عليهم ومضاهيهم. مثل ما قال في الحديث الاخر ان الله كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السماء في الارض بخمسين الف سنة في الحديث الاخر قال اول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما اكتب؟ قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة نعم قال رحمه الله تعالى وفيه عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا وفي يده عود كتبه فرفع رأسه فقال ما منكم من نفس الا وقد علم منزلها من الجنة والنار. قالوا يا رسول الله فلما نعمم افلا نتكل؟ قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له. ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الى قوله فسنبسره للعسرى. والايات والاحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة يطول استقصاؤها وقد تقدم منها جملة في اثبات علم الله عز وجل من توحيد المعرفة والاثبات ثم اورد رحمه الله حديث علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به اي يحرك به الارض وهذا هذه الطريقة غالبا يفعلها الانسان وهو يتأمل او يفكر او نحو ذلك اما ان يحرك التراب باصبعه او يحركها التراب عود في يده ينكت به التراب يعني يحرك به التراب فرفع رأسه فقال ما منكم من نفس الا وقد علم منزله من الجنة والنار علم بما لم يسمى فاعله اي علم الله سبحانه وتعالى منزلها من الجنة واو منزلها من النار. قالوا يا رسول الله فلما نعمم قالوا فلم نعمل اذا كان الامر كذلك ان كل نفس علم منزلها من الجنة ومنزلها من النار ففيما العمل؟ لم نعمل هذا مثل ما يقولون سؤال يطرح نفسه هذا السؤال يطرح نفسه في مثل هذا الموقع حتى من يسمع الحديث ينقذ في ذهنه. هذا السؤال اذا كانت الامور مكتوبة مقدرة فيما العمل وهنا قال اه قد علم اذا كان قد علم كلا منزلا من الجنة وكل منزلة من النار فيما العمل لكن انتبه هنا الى امر وهو ان هذا العلم لله سبحانه وتعالى هذا علم العلم لله سبحانه وتعالى لكن افراد الناس والمكلفين ما منهم من يعلم هذا امر مغيب المغيب ماذا يؤول اليه امره ما هي خاتمته ما هذا امر مغيب لا يدري ما ما يختم له ولهذا قدمت في بعض الدروس خوف السلف رحمهم الله من السوابق ومن الخواتيم لان هذا امر مغيب نعم هو في علم الله سبحانه وتعالى علم منازل اهل الجنة ومنازل اهل النار وهذا بما يموت وهذا بما ومملك الموت امر بكتب اربع كلمات وسيأتي معنا الحديث هو شقي هو او فهذا امر علم وقدر وقضي وكتب لكن العبد لا يدري العبد هذا امر مغيب عنه سر مغيب عنه والقدر سر الله في خلقه هذا امر مغيب ما ما للعبد به علم ولهذا العبد في الحاح على الله سبحانه وتعالى يقول كما في الدعاء المأثور عن نبينا عليه الصلاة والسلام وان تجعل كل قضاء قضيت له لي خيرا وفي رواية وان تجعل عاقبة امري رشدا اللهم اني اسألك آآ الثبات على الامر والعزيمة على الرشد اللهم اني اعوذ بك ان ان اضل او او اضل الى غير ذلك من الدعوات الكثيرة في هذا المعنى لان مستقبل الانسان امر مغيب عنه فيسأل الله سبحانه وتعالى حسن العاقبة حسن الخاتمة حسن المال النجاة من الزيغ السلامة من الضلال يسأل الله الله سبحانه وتعالى وفي الوقت نفسه يدافع نفسه ويعالجها على الاستقامة على طاعة الله سبحانه وتعالى راجيا من الله سبحانه وتعالى ان يكون من الناجين. وممن كتبهم في عداد اه الناجين. والفضل فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قالوا يا رسول الله فلم نعمل؟ افلا نتكل افلا نتكل هنا الاتكال هل هو على شيء معلوم لنا هل هو على شيء معلوم لنا او على شيء غير معلوم فالاتكال لا وجه له. الاتكال لا وجه له اتكال لا وجه له امر هذا مغيب ما يدري عنه الانسان ما يدري هل المنزل منازل جنة او او منازل النار ولهذا دائما يسأل ربه ان يجعله من اهل منازل الجنة المنازل الرضوان وان يعيده من الزيغ وان يعيده من الضلال فقال النبي عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له سبحان الله المسألة هذه تحدث عنها الناس كثير في الجواب على هذا الاشكال لكن اينما ذهب الانسان في جواب هذا الاشكال او هذا السؤال ما يجد جوابا يغني ويشفي ويكفي الا هذه الكلمة. اعملوا فكل ميسر لما خلق له اعملوا فكل ميسر لما خلقنا هذا هو الجواب الشافي الكافي الوافي وهو يجمع اصلين لابد من تحقيقهما ولا نجاة الا بهما الاصل الاول مأخوذ من قوله اعملوا والاصل الثاني مأخوذ من

قوله فكل ميسر لما خلق له. فهما اصلان لا نجاة الا بهما. الاصل الاول
بذل السبب ومجاهدة النفس والصبر والمصابرة والمرابطة لان لانه في الحديث قال اعملوا ومثل هذا الخطاب لا يكون الا لمن له
مشيئة فالدليل على ان العبد له له مشيئة وهدي النجدين
طريق الخير وطريق الشر وبعثت الرسل وانزلت الكتب واقيمت الحجة في عمل يجاهد نفسه على العمل على الطاعة على
التقرب الى الله وبنأى بنفسه عن اه الحرام ومواطن الاثام
والاصل الثاني الاستعانة بالرب جل وعلا التوكل عليه والانطراح بين يديه والافتقار اليه وكثرة سؤاله واللجوء اليه فكل ميسر لما خلق
له ومعنى كل ميسر مما خلق له اي ما من خلقه الله للسعادة نسأل الله الكريم من فضله يسره الله لعمل
اهل السعادة ومن يسره الله الشقاوة اعادنا الله من ذلك يسره لعمل الشقاوة. فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
ليسرى. واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى. نعم
قال رحمه الله تعالى المرتبة الثانية من مراتب الايمان بالقدر الايمان بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء قال الله عز وجل ما
فرطنا في الكتاب من شيء. وقال تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين. وقالت
تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر. وكل صغير وكبير مستتر وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون فما بال القرون الاولى؟ قال
علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي
ولا ينسى وقال تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله وقال تعالى وعنده مفاتيح الغيب
لا يعلمها الا هو
الى قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقال تعالى وما تكونوا في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا
عليكم شهودا اذ تفيضون
فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب من مبين وقال تعالى وما
تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في
في كتاب ان ذلك على الله يسير الى غير ذلك من الايات التي يقرن فيها يقرن فيها بين اثبات العلم والكتاب او يذكر كل على حدته
وكتابه تعالى من علمه. هذه المرتبة الثانية من مراتب القدر وهي الايمان
الكتابة والكتابة اي كتابة مقادير الخلائق وهذه الكتابة حصلت قبل خلق السماوات والارض بخمسين الف سنة فانه اه في ذلك الوقت
خلق الله سبحانه وتعالى القلم واول ما خلقه امره بهذه الكتابة
قال اكتب قال ما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة فجرى القلم فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة. في آآ كتاب آآ
مثل ما ذكر المصنف لم يفرط فيهم بشيء لم يفرط فيه من شيء. نعم
قال رحمه الله تعالى وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا عبدان بن ابي حمزة عن الاعمش عن سعد بن عبيدة عن ابي عبدالرحمن عن
علي رضي الله عنه قال كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عود ينكت به
وقال ما منكم من احد الا قد كتب مقعده من النار او من الجنة فقال رجل من القوم الا نتكل يا رسول الله؟ قال لا اعملوا فكل ميسر ثم
قرأ فاما من اعطى واتقى الاية
نعم. قال ورواه مسلم باسبط منه فقال رحمه الله تعالى حدثنا عثمان بن ابي شيبة وزهير بن حرب واسحاق بن ابراهيم واللفظ لزهير
قال اسحاق اخبرنا وقال الاخران حدثنا جرير عن منصور عن سعد ابن عبيدة عن ابي عبد الرحمن السلمي عن علي
رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله معه مخرصة فنكس ثم
جعل ينكت بمخرصته ثم قال ما منكم من احد ما من نفس منفوسة الا وقد كتب
وقد الا وقد كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار والا وقد كتبت شقية او سعيدة قال فقال رجل يا رسول الله افلا نمكث على كتابنا
وندع العمل؟ فقال من كان من اهل السعادة فسيصير الى عمل اهل
عاد ومن كان من اهل الشقاوة فسيصير الى عمل اهل الشقاوة. فقال اعملوا فكل ميسر. اما اهل فيسرون لعمل اهل السعادة واما اهل
الشقاوة فيسرون لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره ليسرى. واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى نعم هذا الحديث تقدم معنا لكن
اورده هنا لهذا اللفظ كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار والا وقد كتبت شقية او سعيدة. ففيه التصريح
بالكتابة وان اه اعمال العباد وما يكون منهم من عمل اه اهل السعادة او ما يكون منهم من عمل اهل الشقاوة كل ذلك قد جرى القلم به
قبل خلق السماوات والارض بخمسين الف سنة
والاحاديث في هذا الباب كثيرة يأتي اه عدد منها عند المصنف رحمه الله تعالى ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم ان ينفعنا
اجمعين بما علمنا وان يزيدنا علما وان يصلح لنا شأننا كله
والا يكلنا الى انفسنا طرفة عين وان يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولولاة امرنا والمسلمين والمؤمنين والمؤمنات منهم

والاموات. اللهم اقسّم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك. ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا. اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا احييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك. اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد واله وصحبه جزاكم الله خيرا